جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التربية الفنية

البكلوريوس /المرحلة الثالثة

المادة/فن الكتابة المسرحية

التطهير العقلي والعاطفي

اعداد

ا.م.د. ايمان عبد الستار الكبيسي

المرحلة الثالثة

قسم التربية الفنية

تكريت

2026-2025

التطهير العقلي والعاطفي في المسرح

التطهير فلسفيا

يشهد مفهوم التطهير فلسفيا تنوعا في معانيه وتعدد في مجالات استخداماته دينية كانت ام فلسفية ام جمالية، وللاطلاع على مفهومه ينبغي دراسته دراسة اركيولوجيا تعنى بالأسس الفلسفية لهذا المصطلح، ان اول من تطرق للتطهير هو الفيلسوف (هيراقليطيس) عبر رفضه للعبادات السرية الأورفيه والديونيسية، واشتراطتها في التطهير المعزز عن طريق الدم. ومن ثم تطرق اليه (ابقراط) وكان يعني به (التنقية أو التفريغ على المستوى الجسدي والعاطفي)

اما المدرسة الفيثاغورية وعلى الرغم من انها لم تبتعد في صياغاتِها لمفهومهِ في أن تتخلص تماما من النسيج الأسطوري الا انها قدمت له تبريرا عقليا، يقترب به نحو مرحلة التفكير الفلسفي الأخلاقي، إذ اتبعت نظاما خاصا للتطهير قائما على (تطهير مادي حسي، وتطهير روحي) فالأول يعنى بتطهير البدن بوساطة الرياضة، الطقوس والشعائر وصولا الى التحرر الجسدي، والثاني تطهير النفس عن طريق العلم الرياضي والموسيقى ففصلت بين النفس عن الجسد.

ذهب (سقراط) الى تأسيس مفهوم الجدل على وفق اسس اخلاقية وعقلية عبر أسلوب الاستجواب والحوار وصولا للمعرفة المرتبطة بالفضيلة، أذ كان سقراط يتظاهر بأنَّه جاهل في الموضوع الذي يناقشه، فالمعرفة لديه استرجاع لطبيعة النفس الخالدة، وهنا تجلى التطهير السقراطي في طبيعة النفس الخالدة في عالم الحس الأرضي، فالنفس تتطهر من الشوائب والانفعالات وصولا إلى عالم المثل عبر التطهير الذاتي. وهنا اشارة واضحة في انه يرفض التطهير العاطفي مبررا رفضه في ارتباط العقل بالمثل العليا وبالصورة الأصل، اما ما يحدث من تطهير في الفن المسرحي المرتكز على التشبيه المأساوي بالمثل، وما يسببها من اثار في النفس فما هو الا تخدير وايهام وابتعاد عن الحقيقة، فالتطهير لديه غاية معرفية. وقد انقسم التطهير عند سقراط إلى (تطهير عقلي غايته الاهم تحرير العقول وتطهيرها من الجهل عبر التهكم والتوليد، وبذلك يكون سقراط قد رفع التطهير إلى المجال المعرفي، من أجل بلوغ الحقيقة، فالحقيقة تطهر، اما النوع الاخر فتمثل بالتطهير الأخلاقي عبر ممارسة الفضيلة، والتمسك بها والسيطرة على الشهوات بالعقل، من أجل تحقيق السعادة التي تمثل الخير الأقصى).

وقد وضع سقراط للفن دورا تطهيريا، لما له من قدرة على إصلاح النفوس وتهذيبها، وقد تأثر افلاطون بأستاذه سقراط مشجعا اياه نحو تأسيس نظرية المثل التي تعتقد بوجود "عالم من الحقائق الخالدة أو صور منفصلة عن العالم لهذه الحقائق أو الصور وهي المثل"[1] وهي نظرية عقلية كلية تؤكد أنَّ الوعي اسبق إلى الوجود من المادة، وقد ذكر من خلالها افلاطون ان الفن هو تقليد التقليد فلا حاجة إليه. اي ان أفلاطون أراد القول أنَّ (التطهير يمرّ بمراحل حينما يعبر بالنفس من الحالة الدنيا، والتي هي ظلال حالة، إلى الحالة العليا (المثل)، وهي حالة العقل الخالص، إذ يُعبر بالتطهير من الزيف إلى الحقيقة) فلم يعطي افلاطون اهتماما للتطهير العاطفي، إذ انه ينحاز في مفهومه للتطهير نحو المتولد عن طريق الفكر رغم اعترافه (باللذة التي تتولد في المسرح، ولكنه يحيلها الى لذة ممزوجة بالألم والحزن، فالمشاهد في التراجيديا يبكي ويشعر فيه باللذة والفرح، وذات الحال بالنسبة للكوميديا)[2] لكنه يرفضها لأنها ممزوجة بالألم موجها نظره الى لذة يقينية هي اللذة الرياضية البحتة.

عودة الى سقراط الذي تناول التطهير ضمن مفهومين احدهما عقلي والاخر عاطفي وهو ما استثمره أرسطو بعد ان صنفه كغاية للتراجيديا وتأثيرها النفسي والسلوكي، إذ ربط أرسطو بين التطهير والانفعال الناتج عن متابعة المصير المأساوي للبطل، ورأى أنَّ التطهير هو عملية تنقية وتفريغ لشحنة الانفعال عند المتلقي عند مشاهدة العنف، فالتطهير لدى لأرسطو يشكل وسيلة لتحقيق المتعة للمتلقي. يعد أول من صاغ التطهير بمعناه الفني والانفعالي، إذ عد التطهير وسيلة (لتحرير المشاعر الضارة بوصفه غاية التراجيديا، فهو يعمل على تنقية وتفريغ شحنة العنف الموجودة لدى المتفرج مما يحرره من أهوائه) اما في عهد الحداثة والتحولات الفكرية من المبدأ الميتافيزيقي نحو عالم الواقع العقلي وتحول مفهوم العلاقة بين الذات والموضوع الى مستوى الموقف العقلي للإنسان بوصفه منتجا للمعرفة، برز الخطاب الفلسفي العقلي لـ(بيكون)، داعيا الى (تخليص العقل من الأوهام حتى يستطيع أن يتخلص من صور الماضي) عبر ايمانه بالعلم بوصفه الوسيلة الوحيدة للنهوض بواقع الإنسان التي ستفضي الى (تطهير علمي غرضه الاساس رفع الحجب الداخلة في الذات واضاءتها بالمعرفة والعلم، فبدلاً من ان نعتمد على قوة غيبية لتطهير ذلك الغموض نعتمد على قوة داخلية في الذات فيتوافق التطهير مع التنوير). وهنا نجد ان مفهوم التطهير رغم تأسيسه على اساس عقلي الا انه اتخذ منحى اخر على يد(ارسطو) وهو يحيله الى

نتيجة وغاية في التراجيديا، لُينصب نفسه منظرا تطهيريا له الريادة في مجال الدراما، حتى القت الفلسفات التنويرية بطروحاتها المعارضة للمثالية واحكامها المطلقة فاتحة الباب للعقل والذات عن طريق العلم والمعرفة، فكان لمفهوم التطهير حصته من هذه التحولات التي اعادت له شطرا غُيّب في الدراما الارسطية وهو التطهير العقلي " التطهير الحقيقي الذي لا يتم إلا عن طريق الفكر، وبدونه يعد التطهير ناقصا"[3] ويتضح مفهوم التطهير العقلي عند هيكل من خلال رفضه مقولة " أنْ يكون للفن غايات أخرى، مثل الوعظ، والتطهير العاطفي، إذ ان الفن عند هيغل ينتسبُ إلى الروحِ المطلق، فما يقدم ينبغي ان يتماهى مع العقل ومع حقيقة الروح" وقد تطرق ياوس الى التطهير العقلي من خلال ذكره لأنواع التوحد ومنها (التوحد مع البطل الدرامي، والتوحد قائم على التداعيات، والتوحد العاطفي، والتوحد التطهيري) ويمكن تعريف التطهير العقلي فهو (الغاية التي يسعى اليها المسؤول عن العمل المسرحي المقدم للطفل كاتبا كان ام مخرجا ام مصمم الوصول اليها، بعد ان يقدم للمتلقي(الطفل) سرديات لفظية وصورية تستفز وعيه وتدعوه الى التدبر والتأمل في مضمون العرض عبر تعاطي فكري لا عاطفي.

ارتكز بريخت في طروحاته على مرتكزات الفلسفة الماركسية المستندة الى(إظهار الصراع بين التناقضات الاجتماعية، والتشديد على جلاء خطوطها، وكشف سماتها بشكل اولي، في الأبعاد، والمناخات الفكرية، للفن والأدب) ، وأن العالم عصي على الفهم دون محاولة تغيره، وكذلك الانسان. فالماركسية تقدم تصوراً جديداً للفلسفة والوعي الإنساني من منظور ان العقل مجرد إنتاج للطبيعة، أو انعكاس لها رافضة بذلك الثنائيات المثالية. وبهذا فقد تأسس الفكر الماركسي على حتميتين هما (الحتمية الجدلية، والحتمية التاريخية) فضلا عن نظرية الانعكاس التي شكلت اساس الفلسفة الماركسية، أذ تنطلق فكرة الحتمية من واقعة الحدث المستقبلي الذي يكون ضمن دائرة التوقع الافتراضي بحكم مجموعة معطيات تعطي مشروعية الحتمية وصحة حدثها وان كان مستقبلا، ويعزو الماركسيون منطلقاتهم في تعين الحتميات على اطر علمية لا تقبل الجدل كونها اقرب إلى الرياضيات ومن هذه الحتميات:

أ/ **الحتمية الجدلية:** استند ماركس في تنظيره للجدل على (الجدل الهيغلي) فأسس بذلك متسامية الفكر المادي الجدلي (الماركسية) نسبة الى (كارل ماركس) (وانجلز) لكنه اختلف من حيث الجوهر مع الجدل الهيجلي (لا يختلف منهجي الديالكتيك في الاساس عن منهج هيغل بل هو نقيضه تماما ذلك ان هيغل يعتقد ان حركة الفكر التي يجسدها باسم الفكرة هي مبدعة الواقع ليس الا الصورة الظاهرية للفكرة

اما انا على العكس اعتقد ان حركة الفكرة ليست سوى انعكاس لحركة الواقع في ذهن الانسان) ، ورغم ارتباط الجدل بفلسفة (هيجل)، الا ان (ماركس) اخذ منه الديالكتيك واستبعد منه الاساس تصوري، وابقى على المطلق لكنه استبعد المكلف كمطلق، على اعتبار ان المطلق منتهياً كونه يمثل الارتقاء النهائي للإنسان، فالمادة عند (ماركس) هي مولدة الأفكار، وبذلك فان الفكرة تُنتج من حيث صراع (ديالكتيكي) في مخاضات لمجموعة المواد المتفاعلة في الوجود، ان مادية ماركس تقوم على عالم مادي ينمو حسب قوانين حركة المادة وهو في غير حاجة لأي روح شاملة، ويوافق هيجل في ان العالم يتطور طبقا لصيغة جدلية، ولكنه يختلف عن هيغل حول القوة المحركة(المادة/الروح) لهذا التطور.

ب / الحتمية التاريخي: ينطلق الماركسيون من ان الصراع (الديالكتيكي) الجدلي يمثل كل مظا**هر** الوجود من المادة الجامدة الى المادة الحية الحياتية انتهاء بالظواهر المفاهيمية الفكرية والاجتماعية، ومن خلال ذلك ينظرون الى ان الحتمية التاريخية من حيث استقرائها للحتمية الاممية الشيوعية التي تقودها الطبقات المتجددة في العالم والتي تُسقط كل الخلافات الشكلية (الدينية والمذهبية والقومية) وتؤسس لوحدة طبيعته تتمثل بوحدة الطبقة الكبرى اجتماعيا(الطبقة العاملة) تحت شعار(يا عمال العالم اتحدوا) وبذلك فان استشراف المستقبل يبين ان العالم سيخضع للحتمية التي تتمثل في الفردية ونوازعها (السايكوابستملوجية).ان فكرة الحتميات تعتمد على النسيج الماركسي المنضبط بالجدل الذي يفعل كل وحداته ويتشكل به كل ظواهر الوجود واهم ما في الجدل الذي يوفر هذه الظواهر هو(الصراع وقانون نفي النفي وقانون صراع الاضداد)

ثانيا / نظرية الانعكاس الماركسية: تنص نظرية الانعكاس على " ان كل انعكاس إبداعي هو تصوير للواقع على نحو فني مشحون بالانفعال الذاتي لا ينفصل عن موقف اجتماعي، هو الاساس الموضوعي لتوجيه بؤرة الانعكاس"[4]" أي ان المادية تقبل ان الكائن (المادة) مستقل عن الإدراك، والإحساسات، والتجربة ... فالإدراك هنا هو انعكاس الكائن الحي وهو في احسن الحالات، انعكاس دقيق. تحدد لنا الماركسية بحدود منطقية وترتبط بفلسفتها العامة بتربية الانسان وهي بذلك تتوجه الى التربية بوصفها احدى المهام الكبرى لبناء المجتمع الماركسي المادي الشيوعي الذي يرى بمنظوره الاشتراكي، إذ تنحصر فحوى الفكر التربوي المادي الجدلي بما يأتي: فالإنسان يتسامى في مجتمعه وقيمته الجمعية المجتمعية اوسع اهمية من قيمته الفردية، وانه كفرد (جزء لا يتجزأ من منظومة كلية يساهم في بنائها ونموها (المجتمع) وبأفعاله وأدائه

وسلوكه يحقق نمواً وتطورا وتقدما لمجتمعه الاول العائلة ، المدينة ، البلد ، العالم. من خلال حتمية النمو والتطور والتقدم بالإنسانية المرهونة بالوعي ومعرفة الانسان الفرد في كونه جزءا فاعلا من الكيان الاممي الشامل، وان سلوك الفرد ينحصر في سلوك المجتمع ويذوب فيه ولهذا فتربية الفرد وتطبيق لسلوكياته الثورية المجابهة على نحو (محايث)* مع هذه التربية هو اساس نمو المجتمع او انتكاسته . فيظهر هنا ان هدف ماركس هو هدف علمي، وان التطهير ناتج لتفاعلات مادية مع الإرادة الاجتماعية، وأن التطهير يتخذ جانب التربية الاجتماعية للفرد، بتكريس قيم نكران الذات، والانتماء للآخر لأجل التغيير، فهو يقترن مع الهدف وصولا للتغيير معتمدا على المغايرة في دور المتلقي من السلبية نحو التلقي الايجابي الذي يوصل الى فعل التثوير والتغيير، فالتطهير هنا ميزة عقلية لا عاطفية. وأن تطهير الفرد يعتمد على إتمام مصلحة المجتمع وهذا ما ذهب اليه (المخرج الالماني برتولد بريخت) المعروف بميوله الماركسية في انتهاجه للتطهير العقلي عبر مبدأ التغريب وكسر الايهام الذي اصبح سمة واضحة من سمات منهجه الديالكتيك لاسيما في رفضه اخضاع مسرحياته إلى الاصول الارسطية والوحدات الثلاث وهرمية تصاعد الحدث وتطوره وصولا الى التطهير عبر عاطفتي الشفقة والخوف، بل انه اراد للتطهير ثوبا اخر هو التغيير الذي وسيلته الجدل والتفاعل العقلي لا العاطفي، فالهدف عن (بريخت) ينحو الى التغيير لا التفسير، وان العقل هو السبيل الاقوم لحياة افضل، وبالتالي فقد ناقش (بريخت) مفهوم التطهير من منظور سياسي معتبرا أن (المسرح الأرسطي لا يؤدي بالضرورة الى الغاية المرجوة منه فاستبدل التطهير كغاية للمسرح بالتفكير والمحاكمة التي تجعل من المتفرج متلقيا واعيا وناقد) . واخذ على عاتقه مسؤولية توعية المتلقي في المسرح الملحمي المتأتية من التغريب وكسر الايهام وكافة الحقول داخل العرض المسرحي حتى يصل الى (التطهير العقلي) من خلال دفع المتفرج الى التأمل والتفكير، لا عن طريق الشفقة والخوف، وهو بذلك قد استغنى عن اللذة الارسطية بمتعة الاكتشاف والمعرفة. فمن ينظر الى المنهجين يرى ان (برتولد بريخت) قد قطع كل السبل المؤدية الى التطهير، لكنه في الوقت ذاته اعتمد تطهيراً اخر جعله نتيجة لتطبيق نظرية الانعكاس ذات المرجعيات الماركسية من ان المسرح يقوم بواجبه في ان يعكس الواقع المعاش على الخشبة للعمل على تغيره واصلاحه، بمخاطبة فكر المتلقي واثارته وعدم تخديره وسلبه كما هو حاصل في المسرح الارسطي. لذا فمن الممكن القول ان (بريخت) لم يرفض التطهير كهدف عام للمسرح لكنه رفض الالية التي تعامل معها (ارسطو) في مخاطبة المشاعر وسلب الفكر حقه في الاختيار، بل على العكس اعتمد تطهير الفكر ومن ثم تطهير المجتمع من سلبياته بتحفيزه الى الرفض والتغيير عن طريق مسرحه الديالكتيك.